دور القوى المسيحية في
سقوط الخلافة العباسية بيد المغول ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م

عباس خميس الزبيدي
كلية التربية / جامعة القادسية

ملخص :

ما ان بدات طلائع المغول تلوح في الافق ، هرع صليبيوا اوربا نحوهم واضعين قوتهم في خدمتهم محرضين لهم على المضي في اجتياح العالم الاسلامي واسقاط الخلافة العباسية المركز الروحي للمسلمين بعد ان فشلت حروبهم الصليبية . فبالرغم من ان قرار الغزو المغولي للخلافة العباسية كان تصميما مغوليا بحتا وان تنفيذه كان ينتظر الوقت المناسب، الا ان الذي حرض عليه وقوى عزيمة المغول فيه هي رغبة اوربا الصليبية في انهاء الدين الاسلامي كدين رسمي في المنطقة عن طريق القضاء على الخلافة العباسية .

ان مسالة ايجاد تحالف مع المغول او نيل نصرتهم وتأييدهم والتعاطف معهم ضد المسلمين فيما يعرف اليوم بالشرق الاوسط هو الهدف الاول والاساس للرحلات والبعثات البابوية المسيحية الى العاصمة المغولية (قراقروم) والتي ترجمة فيما بعد الى تحالف مغولي – ارمني ومشاركة جورجية (كرجية) فعالة في عملية اسقاط الخلافة العباسية بيد المغول عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م .

المقدمة :

من سمات المعرفة التاريخية انها معرفة تراكمية لا تقف عند حد معين فكل خطوة يخطوها باحث جديد لا تبدا من فراغ وانما تبدا من حيث انتهت اليه جهود السابقين ليضف اليها جديدا وبهذا تنمو المعرفة التاريخية وتزداد .

ويعد هذا البحث مكملا لجهود السابقين سيما ان معظم الدراسات والابحاث السابقة ان لم تكن باجمعها ، التي تناولت سقوط الخلافة العباسية ركزت على المغول وبعض الشخصيات التي خدمت الخلافة لكنها اتهمت ظلما بالخيانة بدافع من التعصب الطائفي والمذهبي الذي كان مستشريا انذاك – في عملية اسقاط الخلافة – متناسين ومتغافلين في الوقت نفسه الدور الذي لعبته القوى المسيحية في عملية اسقاط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

فحين ادرك صليبيوا اوربا ان تحركا مغوليا ، بدات طلائعه في الافق، تحركوا باتجاه المغول واضعين قواتهم في خدمتهم ، محرضين لهم على المضي في اجتياح العالم الاسلامي واسقاط الخلافة العباسية المركز الروحي للمسلمين ، متناسين ما حل بهم على يد المغول انفسهم في شرق اوربا ، فبالرغم من ان قرار الغزو المغولي للخلافة العباسية كان تصميما مغوليا بحتا ، وان تنفيذه كان ينتظر الوقت المناسب ، الا انه يجب ان لا ننسى ان الذي حرض عليه وقوى عزيمة المغول فيه ، هي رغبة اوربا المسيحية الصليبية في قهر العالم الاسلامي وتمزيقه ، ذلك ان مسالة ايجاد تحالف مع المغول او نيل نصرتهم وتاييدهم او التعاطف معهم ضد المسلمين في ما يعرف اليوم بالشرق الاوسط ، كان هو الهدف الاول والاساس للرحلات والبعثات البابوية المسيحية الى قراقروم والتي ترجمت في ما بعد الى نوع من التحالف (المغولي – الارميني) والمشاركة الجورجية (الكرج) الفعالة في عملية اسقاط الخلافة في يد المغول .

محور هذا البحث يدور حول توضيح (دور القوى المسيحية في سقوط الخلافة العباسية بيد المغول ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) موضحا فيه النقاط الاتية :

١- المغول بين معتقدين (الوثنية – المسيحية) .
٢- محاولات اوربا لايجاد تحالف مسيحي – مغولي ضد الخلافة العباسية والعالم الاسلامي .
٣- التعاون المسيحي – المغولي لاسقاط الخلافة العباسية .

أ- دور القوى المسيحية من خارج الخلافة العباسية

١. الارمن
٢. الكرج
٣. الامارات الصليبية
ب- دور النصارى داخل الخلافة العباسية في الغزو المغولي .

المغول بين معتقدين الوثنية – والنصرانية :

امتازت الهضبة المغولية بقسميها ، الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي والذي يشتمل على صحراء (غوبي) – والممتدة (أي الهضبة) بين الصين جنوبا ومنشوريا وسيبيريا شرقا وبلاد التركستان وما وراء النهر غربا ، بمناخ قاري متطرف ، اذ تنخفض فيها درجة الحرارة في فصل الشتاء حتى تصل الى ٥٨ تحت الصفر وترتفع في فصل الصيف الى ٦٠ . -١-

يبدو ان الارض والمناخ والبيئة كانت من العوامل التي لعبت دورا اساسيا في تكوين ذهنية قاطني هذه الهضبة ومعتقداتهم ، فاملت عليهم نواميسها الطبيعية ، لذا كان المعتقد الرئيسي لقبائل المغول هو الشامانية (Shamanism) أي الديانة الايحائية والتي تعتقد ان لكل مادة روحا يمكن مخاطبتها عن طريق الشامان .-٢-

كان الشامان* هذا يدعي القدرة على الاتصال بالقوى الالهية او الجبارة عن طريق التامل او الاغماء ، لذا اعتقد المغول ان الشامان هو الوسيط بين القوى العظيمة او الشريرة التي يخافونها والعالم السفلي الذي يعيشون فيه ، وبهذا أضحت له مكانة مرموقة بين القبائل الرعوية حتى انهم كانوا لا يقدمون على أي عمل دون مباركة الشامان لهم . -٣-

الا ان الديانات السماوية والتبشيرية سرعان ما وجدت لها أرضا خصبة بين ساكني الخيام في اسيا الوسطى بصورة عامة ومنغوليا بصورة خاصة ، اذ كان (طريق الحرير)** بمثابة جسر يصل المدنيات الغربية ، العالم المتوسطي وايران والهند بالمدنيات الشرقية في الشرق الأقصى والصين ، فكان مسرحا لنمطين من الحياة المدنية والتجارية ، اذ اصبح ممرا لقوافل التجار الفرس لنقل الحرير ، وطريقا سالكا للمبشرين المسيحيين السوريين والمبعوثين البوذيين الصاعدين من افغانستان ، والدعاة المانويين القادمين من ايران . -٤-

الا ان الديانة المسيحية النسطورية*** وجدت لها مرتعا بين القبائل الرعوية حتى اضحت هذه الديانة الثانية بعد الشامانية بين قبائل المغول ، كما مبين في الجدول ادناه -٥-

القبيلة	اصولها	مناطق استيطانها	لقب زعمائها	معتقداتها
كرايث	تركية	على ضفاف نهري اورق وتؤولا في منطقة الغابات السوداء في المنطقة المحصورة بين جبال خنجاي وكنكاي	اونك خان او وانغ خان	نسطورية
مركريت	مغولية	السواحل الجنوبية والشرقية من بحيرة بيكال والمناطق الواقعة في وسط نهر سلنكا	توقاتا بيكي	شامية + نسطورية
تتار	تترية	المنطقة الغربية من نهر كرولسن والنواحي الغربية والمحيطة ببحيرة (بوير تئور)	خان	شامانية + نسطورية
النايمان	تركية	الحوض الاعلى لنهر اخان ومنحدرات جبال التاوي وحول البحيرات في تلك المنطقة	كوتشلوك خان	النسطورية + البوذية

هذا الانتشار للديانة المسيحية النسطورية في اسيا الوسطى بصورة عامة ومنغوليا بصورة خاصة ، عول عليه مسيحيوا اوربا المتعصبين وباباواتهم وبداوا يمنون انفسهم بايجاد تحالف بين هذه

القبائل الرعوية القاطنة هناك وبين العالم المسيحي والذي كان يتبنى فكرة الحروب الصليبية بغية القضاء على العالم الاسلامي ، فحين انهزم السلطان السلجوقي سنجر عام ١١٤١م على يد قبائل القراخطاي المغولية الاصل في صحراء (قطوان) في آسيا الوسطى وصل الخبر الى الصليبيين الذين كانوا يحاربون المسلمين في ذلك الوقت في فلسطين والجزيرة الفراتية ، فراجت بينهم اسطورة خلاصتها ان ملكا قسيسا اسمه (جان) قام بمهاجمة العالم الاسلامي من الشرق متعاونا مع ابناء دينه الذين يهاجمون الاراضي المقدسة . -٦-

محاولات اوربا لايجاد تحالف مسيحي – مغولي ضد الخلافة العباسية والعالم الاسلامي :

لقد افزعت فتوحات المغول في شرق اوربا -٧- كنيسة روما وكشفت لها عن عجز اوربا في مواجهة السيل المغولي الجارف ، لذا سارع البابا انوست الرابع (١٢٤٢ – ١٢٥٤م) الى عقد مجمعا دينيا في مدينة ليون الفرنسية لاجل مواجهة خطر المغول . -٨-

وحين ادرك البابا ضعف ملوك وامراء اوربا وعدم قدرتهم على التصدي للمغول بدا بارسال البعثات والسفارات الى المغول مستغلا توقف هجماتهم -٩- وتواجد بعض الجاليات المسيحية بينهم ، لاجل كسب ودهم ودعوتهم الى اعتناق المسيحية واجدا فيهم خير حليف في محاربة العالم الاسلامي بعد ان فشلت الحروب الصليبية في تحقيق اهدافها . -١٠-

اذ ارسل احد دعاته الراهب الفرينسكاني (يوحنا بيان بلانو كاربيني) مع عددا من رجال الدين المسيحيين والذي بدا رحلته من مدينة (ليون) عام (١٢٤٥م) عبر سهول اوربا ، فوصلت هذه البعثة الى شمال البحر الاسود ، التقت بمعسكر (باتو) والذي ارسلها بدوره الى منغوليا ، فاجتازت بلاد المسلمين فوصلت السفارة اثناء انعقاد قورلتاي تنصيب (كيوك) خانا اعظم للمغول ، رغم حسن استقبال كيوك للسفارة البابوية ، الا انه اشترط تبعية امراء اوربا وملوكها اساسا للتحالف -١١-

وعلى الرغم من فشل كاريبي في حمل الخاقان على اعتناق المسيحية واقامة تحالف مع المغول الا ان البابا لن يفقد الامل ، اذ سرعان ما ارسل بعثة اخرى برئاسة الراهب الدومنيكاني (اسكلين اللومباردي) والذي ارتحل من اسيا الصغرى عام (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) مجتازا بلاد الشام والعراق ومن ثم الى ايران حيث التقى بالقائد المغولي (بيجو) قائد الجيش المغولي في القوقاز ، والذي اعرب عن استعداده لمناقشة قيام تحالف لضرب دول المشرق العربي وهي تستند في اساسها على مهاجمة بغداد واسقاط الخلافة العباسية اولا وتشكيل حملة صليبية جديدة على بلاد الشام لتخفيف الضغط على المغول ثانيا . -١٢-

الا ان السفارة لم تكن لها الصلاحيات التي تمكنها من حسم الامر مما دعى القائد المغولي (بيجو) ان يرسل مبعوثين من قبله ليصحبا الوفد الصليبي أثناء عودته الى روما ، لعرض مقترحات القائد المغولي (بيجو) ، الا ان البعثة المغولية التي بقيت في روما اكثر من سنة ، اخفقت في مساعيها بسبب عدم قدرة الاوربيين على ارسال حملة صليبية جديدة الى بلاد الشام . -١٣-

رغم ذلك لم يدخل الياس قلب البابا وملوك اوربا في اقامة تحالف مع المغول حيث وصل مبعوثين مغوليين من المسيحيين النساطرة الى زعيم الحملة الصليبية القديس لويس وهو في نيقوسيا سنة (١٢٤٨م) مبعوثين من قبل القائد المغولي (الجيغيداي) الذي كان في جهات الموصل ، مرسلا من قبل كيوك خان ضد الاسماعيلية والخلافة العباسية ، وقد انبا المبعوثون لويس بان والدة كيوك مسيحية وان كيوك نفسه اعتنق المسيحية ومعه ثمانية عشر شخصا من امراء البيت المالك وعددا كبيرا من النبلاء وان (الجيغيداي) جرى تعميده منذ اعوام وانه الان في طريقه الى بغداد -١٤- ليثار من الاساءة التي وجهها الخوارزميين في حق السيد المسيح -١٥- وكان الغرض من تلك السفارة عقد تحالف عسكري بين الصليبيين والمغول ضد الايوبيين في الشام من ناحية والخلافة العباسية في بغداد من ناحية اخرى . -١٦-

اعطت هذه السفارة تشجيعا لـ (لويس التاسع) في ارسال بعثة مؤلفه من رهبان دومنيكان برئاسة (اندرو لونيجمو) لغرض وضع التحالف موضع التنفيذ فوصلت البعثة الى (الجيغيداي) والذي ارسلها بدوره الى منغوليا ، حيث وصلت الى قراقروم ، فتبين للبعثة وفاة (كيوك) وتولي ارملته (اغول قايمبش) السلطة التي استقبلت البعثة استقبالا حسنا ، واتفق الطرفان على استرجاع بيت المقدس

واسقاط الخلافة العباسية ، الا ان السفارة لم تحقق نتيجة حاسمة وسريعة في موضوع التحالف بين لويس والمغول ، الا انها اعطت الامل في امكانية قيام هذا التحالف . -١٧-

بادر لويس الى ارسال سفارة ثانية ، ولكن هذه المرة الى مغول القفجاق حين عهد للراهب الفرنسيسكاني (وليم روبروك) بالتوجه الى (سرتاق بن باتو) الذي لم يكن لديه من اتخاذ القرارات شيئا فارتحلت البعثة شطر (السراي) لمقابلة (باتو) والذي ارسلهم الى (منكوخان) في (قراقروم) والذي تولى العرش بعد كيوك ، لم يكن (منكوخان) معارضا اقامة تحالف ، لان المغول قد قرروا اجتياح العراق ، وارادوا ان يحولوا دون أي مساعدة يقدمها الايوبيين في مصر والشام للخلافة العباسية ، وذلك عن طريق محالفة الصليبيين . -١٨-

الا ان (منكوخان) طلب من الرسل ان يقدم لويس ولاءه واقراره بالتبعية للمغول ، وان يساهم في الحملة التي يقودها هولاكو لاسقاط الخلافة العباسية ، مقابل اقامة تحالف مع لويس التاسع -١٩- ، وبذلك تبددت اوهام لويس التاسع وعاد روبرك دون تحقيق مبتغاه . -٢٠-

التعاون المسيحي – المغولي لإسقاط الخلافة العباسية :-

١- دور القوى المسيحية من خارج الخلافة العباسية :-

أ- الأرمن :

بعد ان فقد الأرمن سيادتهم التي كانوا يتمتعون بها في ظل احدى الاسر المحلية وهي الاسرة الباغراتية ، على يد العرب المسلمين ، اصبح ولائهم متذبذبا بين الخليفة العباسي والامبراطور البيزنطي ، حتى اضحت في اواسط القرن الحادي عشر الميلادي جزء من اراضي الدولة البيزنطية -٢١- وحين بدات قوة السلاجقة تتظاهر في اسيا الصغرى ، وبدا نجم الامبراطورية البيزنطية بالافول ، ووقعت معظم اراضي ارمينيا بيد السلاجقة ، اعلن الارمن خلع طاعة الامبراطور البيزنطي ومن ثم نجحت بعض العناصر النشطة من الارمن من تاسيس مملكة عرفت باسم مملكة ارمينيا الصغرى في طورس وقلقيلة وذلك بين عامي (١١٩٨ – ١٣٩٣م) – ٢٢-

لقد باتت مملكة ارمينيا الصغرى تتحين الفرص لتوسيع رقعة اراضيها مستغلة حالة ضعف الدويلات الاسلامية انذاك ، وحين بدات جحافل المغول تطا اقدامها ايران والقوقاز ، كان الارمن اولى الامارات التي تحف بالبحر المتوسط ادراكا باهمية الغزو المغولي ، اذ ان الارمن شاهدوا باهتمام بالغ ما اصاب الجيش السلجوقي من هزيمة ساحقة على يد القائد المغولي (بيجو) عام ١٢٤٣م .-٢٣-

لذلك ارسل ملك ارمينيا الصغرى المدعو هيثوم (١٢٢٦ – ١٢٠٧م) رسالة الى القائد المغولي ، تفضي بالولاء والاحترام ، على الرغم من انسحاب المغول واستعادة سلطان اسيا الصغرى السلجوقي (كيخسرو) اراضيه في بلاد الاناضول ، والذي اخذ بالضغط من جديد على مملكة ارمينيا الصغرى ، الا انه (أي هيثوم) ادرك بان المغول سوف يعودون وسوف يكون لهم قيمة واهمية للعالم المسيحي في اسيا بصورة عامة وله بصورة خاصة . -٢٤-

وفي الوقت الذي فشلت فيها بعثات البابا وملوك اوربا في تحقيق اهدافها ، نجح الملك هيثوم في كسب ود المغول ، بعد ان فهم أيدلوجيتهم السياسية ، مستغلا في الوقت ذاته التغيرات التي حدثت في القراقروم والمتمثلة باعتلاء كيوك عرش امبراطورية المغول ، اذ كان هذا الخان راعيا للمسيحية في بلاطه -٢٥- وهكذا ارسل هيثوم في عام (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) سفارة بقيادة اخيه سمباد الى العاصمة المغولية قراقروم ، التي اضحت مركز الدبلوماسية في العالم في ذلك الوقت لحضور اعتلاء (كيوك) عرش الخانية المغولية ، فحصل سمباد على وعد من كيوك خان على وحدة مملكة ارمينيا وحق التوسع على حساب الممالك الاسلامية المجاورة . -٢٦-

الا ان هيثوم لم يكن قانعا بما حققته البعثة الاولى ، فبدا بنفسه (٦٥١هـ / ١٢٥٣) رحلة الى البلاط المغولي في قراقروم لزيارة (منكوخان) الذي اعتلى عرش الخانية بعد كيوك خان ، والذي بالغ في استقباله وتكريمه -٢٧- وبذلك نجح هيثوم في ايجاد تحالف (مغولي – ارميني) ينصب بنوده في اعفاء المسيحيين وكنائسهم من الضرائب والرسوم ، وتعهد المغول بعدم التعرض لمملكة ارمينيا ، مقابل

تعهد هيثوم بالمشاركة بجميع قواته مع الجيش المغولي الزاحف بقيادة هولاكو نحو الخلافة العباسية . -٢٨-

وبموجب هذا التحالف سارع ملك ارمينيا الصغرى الى ارسال فرقة من الخيالة الارمن للمشاركة مع الجيش المغولي الداخل لمدينة بغداد ، وكانت هذه الفرقة لا تقل ضراوة وشراسة من المغول ، اذ الحقت الضرر الكبير اثناء دخولها الى مدينة بغداد مع الجيش المغولي عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) -٢٩-

ب- الكرج :

يعد الكرج (الجورجيين) من اشهر شعوب القوقاز الذين تنصروا في القرن الرابع الميلادي -٣٠- ، وفي القرن العاشر الميلادي اصبح الكرج تحت سيادة احد فروع الاسرة الباغراتية ، حتى اضحت في القرن الثاني عشر من اقوى دول الشرق الاوسط زمن ملكتهم (ثامار) -٣١- .

ان اول صدام وقع بين المغول والكرج كان عام (١٢٢١م) حين انساحت القوات المغولية بقيادة (سوبوتاي) من مدينة تبريز ، لمهاجمة الجزء الشرقي من بلاد الكرج ، خلال مطاردة السلطان جلال الدين منكبرتي ، فقاد ملك الكرج (جورج الرابع ١٢١٢-١٢٢٣م) بن الملكة (ثامار) فرسان الكرج للتصدي للجيش المغولي الغازي ، الا انه مني بهزيمة ساحقة عند (خناتي) جنوب تفليس . -٣٢-

وما ان انسحب المغول من القوقاز حتى عاد السلطان منكبرتي ليحتل تفليس ونهبها ، بعد هزيمة الملكة (رودسن ١٢٢٣-١٢٤٧م) شقيقة الملك جورج الرابع واضطرها الى الانسحاب الى (قطيس) وباءت محاولات الملكة رودسن لاستعادة الجزء الشرقي من بلادها عام (١٢٢٨) فاضحت مملكة الكرج قاصرة على املاكها الواقعة على البحر الاسود . -٣٣-

الا ان رودسن سرعان ما دخلت تفليس بعد انسحاب جلال الدين منها ، الا انها اضطرت مرة اخرى الى الانسحاب عنها ، بعد ان اغار القائد المغولي (شورماجان) من (موقان) موقعه القريب من بحر قزوين ، وفرت مرة اخرى الى قطيس واستولى المغول على الجزء الشرقي من بلاد الكرج ، الا ان الكرج بعد انسحاب المغول ، صاروا يؤثرون المغول على الخوارزمية . -٣٤-

فاصبحت الملكة رودسن نفسها سنة (١٢٤٣م) من اتباع المغول المخلصين بعد ان تم الاتفاق على ان يكون لابنها السيادة الكاملة على ممكلة الكرج يحكمها تحت سيادة المغول . -٣٥-

وما ان بدات طلائع المغول بالتوجه نحو العراق ، واراضي الخلافة العباسية كان الكرج الجورجيون من ابرز القوى المسيحية التي لبت نداء المغول للمساهمة في اسقاط الخلافة العباسية ، اذ شارك الكرج بكتائب عسكرية كان لها الدور الأساسي في حصار مدينة بغداد ، اذ يذكر هورث ان القوات الكرجية كانت قد شاركت في حصار مدينة بغداد وكانت اول من اقتحم اسوار المدينة ، فاشتهرت بقسوتها وشدتها بالتدمير واستولت على اموال كثيرة عجزت عن حملها فيما بعد . -٣٦-

الإمارات الصليبية :-

لقد كان للامارات الصليبية في الشرق الأوسط ، خصوصا الإمارات في ارمينيا وانطاكيا وفي طرابلس ، دورا أساسيا في حملة المغول ضد الأقطار الإسلامية ، اذ انضمت القوات الصليبية تحت خدمة المغول املا في تحقيق مكاسب إقليمية من أراضي المسلمين ، خاصة استعادة بيت المقدس ومن ثم القضاء على على الاسلام كدين رسمي في المنطقة . -٣٧-

وكان الصليبيون يرون في المغول أملا كبيرا في محو الخلافة العباسية - المركز الروحي للمسلمين في الشرق الادنى- فضلا عن اخضاع فارس والعراق والاراضي التي بيد المسلمين من الشام لحكم المغول ، الذين يميلون الى المسيحية ، مما يجعل الصليبيين يامنون على انفسهم في بلاد الشام . -٣٨-

بينما كان المغول يرون في محالفة الصليبيين ان يحولوا دون أي مساعدة يقدمها الايوبيين في مصر والشام للخلافة العباسية ، التي كان المغول يسعون لاجتياحها . -٣٩-

لذلك كان التحالف المغولي – المسيحي بقيادة هولاكو مع الدويلات الصليبية هو اكبر واهم تحالف عسكري ضد المسلمين حين وحدوا قوتهم وقاموا متحدين بهجوم عسكري ضد بلدان الخلافة العباسية في الجزء الشمالي الغربي من اراضي الجزيرة سوريا وفلسطين . -٤٠-

دور المسيحيين داخل الخلافة العباسية في الغزو المغولي :-

لقد عاش المسيحيين والمسلمين حياة مشتركة في الايمان بالديانات السماوية ، فكانوا ابناء حضارة واحدة معتمدين على وحدة العيش وشراكة المصير . -٤١-

اذ كانت الدولة العباسية اكثر الدول الاسلامية تسامحا مع المسيحيين بعد الدولة الفاطمية-٤٢-، والذين أي النصاري اتخذوا من بغداد مستقرا لهم على اعتبار انها مركز الخلافة العباسية،وتوجد فيها مركز رئاستهم الدينية-٤٣-،اضافة الى تواجدهم في بعض المناطق الشمالية ، خصوصا الشمالي الغربي من العراق ، وحوض دجلة الأعلى والذين يمثلون بقايا شعوب قديمة مختلفة الأعراق . -٤٤-

لا توجد إحصائية دقيقة عن عدد النصارى في الخلافة العباسية الا انه قدر عددهم في اواخر العصر العباسي بنحو ثلاثة واربعون الف نسمة -٤٥- جلهم يعمل في الطب والكتابة في الدواوين -٤٦- الا ان ما يؤخذ على المسيحيين في اواخر العصر العباسي هو اكتسابهم صفة الاقلية ، فكانت على المسيحية كثيرا ما يؤخذ على انها انتماء لدولة معينة -٤٧- فوجدت بعض الطوائف المسيحية ما يغريها بالتحالف مع القوى المسيحية خصوصا حين ابتدات عملية احياء الحياة الداخلية لبعض الجماعات النصرانية عن طريق المبشرين الذين كانوا يحملون فكرة الحروب الصليبية -٤٨- كما ان النصارى داخل الخلافة العباسية علقوا امالا كبيرة على ظهور المغول . -٤٩-

لقد استفاد المغول من حالة الفتور التي اضحت عليها العلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، فبداوا يجنون ثمار رعايتهم للمسيحيين خلال عملية زحفهم ، باتجاه اراضي الخلافة العباسية ، اذ اصبح بعض النصارى داخل الخلافة العباسية ، تدفعهم تلك العوامل كدعاة للمغول يمهدون لهم الطاعة ، بما ينشرونه بين الناس من اخبار ودعايات انهزامية -٥٠- ، واصبحوا لهم رسلا يحملون اوامرهم ورسائلهم الى امراء البلاد ، اذ ارسل هولاكو راهبا سريانيا من اهالي الجزيرة الفراتية ، الى الملك الكامل محمد الايوبي حاكم ميفارقين لاجل قبول سلطة المغول -٥١- ، كما عمل بعض النصارى كعيون وجواسيس ينقلون للمغول الاخبار ويترصدون حركة ابناء البلاد -٥٢-

ادرك الخليفة العباسي حجم العطف الذي يكنه هولاكو على المسيحيين بتاثير زوجته المسيحية (طقوز خاتون) فحاولة استغلال نفوذ الجثاليق (ميكفاحق)**** لدى المغول ، اذ ارسل هذا الجثاليق وبمعيته الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، لكسب ود هولاكو واقامة الصلح بين الطرفين الا ان مساعيه ذهبت في هباء الريح -٥٣- لان المغول قد قرروا استباحة المدينة ، فكان الثمن الذي حصل عليه النصارى هو تخلصهم من المجزرة التي أقامها الجيش المغولي عشية دخوله بغداد ، اذ اقدم الجثاليق ، على جمع ابناء طائفته في كنيسة سوق الثلاثاء ، خلال عملية دخول المغول المدينة ، ولم يتعرض لهم المغول بسوء لحمايتهم من قبل (طقوز خاتون) -٥٤- ، ومجاملة من هولاكو للكتائب الجورجية والارمنية التي كانت ترافق قواته -٥٥- ، فيذكر المؤرخ ابن الفوطي " ووضع السيف في اهل بغداد فلم يبق من اهل بغداد والسواد الا القليل ما عدا النصارى فانهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم " -٥٦-

الخاتمة :

لقد خلص بحث (دور القوى المسيحية في اسقاط الخلافة العباسية بيد المغول ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) الى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بما يلي :

كان باباوات روما وملوك فرنسا وارمينيا متلهفين بشكل متعطش لكي تتحد قواتها بالقوات المغولية الغازية من الشرق ضد المسلمين ، متناسين ما حل بهم على ايدي المغول في شرق اوربا ، ومستغلين وجود الجاليات المسيحية بغية ايجاد تحالف لتنفيذ مشروعهم الصليبي في انهاء الاسلام كدين رئيسي بالمنطقة عن طريق اسقاط الخلافة العباسية المركز الروحي للمسلمين .

كان الغرض من وراء البعثات التبشيرية المسيحية ونشاطاتها يهدف الى تحقيق امرين في غاية الاهمية اولهما نشر الديانة المسيحية وثانيهما السعي الحثيث بجد ونشاط مضنيين وراء ايجاد نوع من التحالف الشرقي – الغربي ثم القيام بعد ذلك بحملة صليبية اخيرة على المسلمين والقضاء على دينهم بصورة نهائية .

ان سياسة المغول بعكس ما كانت تتوقعه منهم القوى الاوربية فعلى الرغم من ان جيش هولاكو يضم في غزواته على راضي الخلافة العباسية العديد من المغول المسيحيين النساطرة ، الا انهم يقوموا بغزواتهم المدمرة هذه بداع من التعصب لمذهب او دين بقدر ما هو استجابة لتنفيذ اوامر الخان .

ان ابرز دور لعبته القوى المسيحية من خارج الخلافة العباسية مع المغول في حملته ضد اراضي العراق والجزيرة والشام ذلك الدور الذي لعبته القوة (الجورجية الكرجية) ، اذ ساهم الجورجيين بكتائب عسكرية ومؤن وعتاد .

اتسم موقف النصارى داخل الخلافة العباسية بالسلبية ، تجاه الغزو المغولي ، اذ وجدت بعض الطوائف المسيحية ما يغريها بالتحالف مع الامارات الصليبية ، خصوصا حين ابتدات عملية احياء الحياة الداخلية لبعض الجماعات المسيحية ، عن طريق المبشرين الذين يحملون فكرة الحروب الصليبية لذلك علق النصارى داخل الخلافة العباسية امالا كبيرة على ظهور المغول .

نجح المغول من الاستفادة من حالة فتور العلاقة بين المسلمين والمسيحيين اواخر العصر العباسي ، وبدأوا يجنون ثمار رعايتهم للمسيحيين ، فأصبح بعض المسيحيين جواسيس وعيون ينقلون اخبار اهل البلاد ويمهدون الطاعة للمغول بما ينشرونه من دعايات انهزامية .

قائمة الهوامش والمصادر :-

١- فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ (القاهرة : ١٩٦١) ص ص ١٠-١١ .

2- The New Enyclopedia Bratannica (U.S.A :1974) vol,16,pp:638-640 .

* **الشامان :** هي التسمية التي اطلقت من قبل شعوب اسيا الوسطى على الكاهن او الطبيب او رجل الدين الذي يرتدي الملابس البيضاء ويمتطي صهوة جواد ابيض ، وكان المغول يرون ان لهذا الشامان القدرة على التحكم بقوى الخير والشر وانه ذو نفوذ خفي وسلطان غريب على عناصر الموتى وارواحهم . انظر: ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن (مكتبة النهضة ، القاهرة : ١٩٧٠) ، ص٢٥١ .

3- The New Enyclopedia Americana (U.S.A:1977) vol,24,pp:664-665 .

** **طريق الحرير :** هي التسمية التي اطلقت على الطريق التجاري الرابط بين الصين وموانئ البحر المتوسط عبر اواسط اسيا وايران والعراق والذي كان يعرف بالطريق السلطاني او طريق الصين ، وان اول من اطلق عليه اسم طريق الحرير هو الجغرافي الالماني (فرديناد فون رشت هوفن) بعدما استنتج اهمية الحرير الحضارية والتجارية . ينظر : علي ابو غسان : طريق الحرير والطرق التجارية الاقدم ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد / ٢ دمشق ١٩٩١م ، ص ص ٣٩ – ٤٢ .

4- Mikhail Ktyukov : the Silk Road via Stepp and Oasis (The Grand Exhibition of Silk Road Civilization) The Oasis steppe Route .Nara :1988,pp:232-236.

*** **النسطورية :** هو المذهب المسيحي الذي نسب الى نسطوريوس ، والذي كان يشدد على التمييز بين الطبيعتين والفصل بينهما ، أي هناك طبيعتين للمسيح الهيا قبل التجسيد وبشريا بعد التجسيد حول هذا الموضوع ينظر :جورج شحاته قنواتي : المسيحية والحضارة الغربية ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٨٤) ص ص ٢٨ – ٣٢ .

٥- صمم هذا الجدول بالاعتماد على :

١. الصياد : المصدر نفسه ، ص ص ٦ – ١٠

2. Splur . B: History of Mongols Tran . from German by Helga,S.D. (LondonL1972) pp:19-20.

3.Hertago Beade:Genghis Khan Conquerer of world (London:1986) pp: 24-30 .

٦- ف ، بارتولد : تاريخ الترك في اواسط اسيا ، ترجمة تحمد سعيد السلمان (القاهرة : ١٩٥٨) ص ١٢٣ .

٧- سبق للمغول ان اصطدموا بشعوب اوربا الشرقية من الاس والبلغار والقفجاق والباشغير والروس والهنكاريين خلال عملية اسقاط الدولة الخوارزمية ، الا ان الاجتياح الحقيقي لشرق اوربا كان بعد انتخاب اوكتاي (٦٢٤هـ / ١٢٢٧م – ٦٩٣هـ / ١٢٤١م) خاقانا ، حين وضعت الخطط النهائية لاجتياح الاراضي الروسية ومدن اوربا في قورلتاي عام

(٦٣٢هـ / ١٢٣٥م) واسندت قيادة الحملة (لباتو بن جوحي) الذي نجح بغزو اوربا وتراس خانية عرفت بخانية القبيلة الذهبية ، حول هذا الموضوع ينظر :

Juvin : History of the word Conguerer Tran Mirza ,M.Qazuin, Tran to English , by Boyle , J (Man Chester : 1958) ,vol 1,pp:196-199 ; Vernadsky .G: The Mangol and Russia (New haven : 1959) ,vol 111 , pp: 50-60 .

٨- السيد علي الحريري : الاخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط٢ ، (مصر مطبعة النيل : ١٣٢٩) ، ص٣٤١-٣٤٢ .

9- Micheal . p : the Mongol Empire , it rise and legcy, tran by Eden and Cedar, p(London : 1953), pp: 364-265 .

١٠- ستيفن رانسيمان : المدنية البيزنطية والحروب الصليبية ، ترجمة احمد صالح العلي ، (بغداد : ١٩٥٦) ص ٢٤٤ .

١١- ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني (مكتبة النهضة : ١٩٦٧) ص١٦١ .

١٢- سوادي عبد محمد : أضواء على التحالف الصليبي – المغولي ضد العراق والشرق العربي ، مجلة المورد ، مج١٦ ، ع٤ ، سنة ١٩٨٧) ص ٤١٥ .

١٣- عبد القادر احمد يوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، (بيروت : ١٩٦٩) ص ص ١٨٣-١٨٤ .

١٤- ف . بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان ، (الكويت : ١٩٨١) ص ص ٦٩٤-٦٩٥.

١٥- بعد مقتل السلطان جلال الدين منكبرتي ١٢٣١م ، هامت جموع من الخوارزمية على وجهها في الجزيرة وشمال الشام ، واستقر قسم كبير من أولئك الخوارزمية في الجزيرة حول الرها وحران ونصيبين ومن هناك اخذوا يشنون غارات على المناطق القريبة بغية السلب والنهب حتى تم هزيمتهم امام جيوش الايوبيين المتحالفة ، وظل الخوارزميين بعد الهزيمة يعرضون خدماتهم على من يشتريها حتى استعان بهم الصالح ايوب سنة ١٢٤٤م ، اذ لم تكن دعوة الصالح ايوب تصل الى الخوارزمية حتى اندفع نحو عشرة الاف منهم نحو بلاد الشام الصليبية ودخلوا معظم حصونها وهدوا قلاعها ، حتى وصلوا الى بيت المقدس ١٢٤٤م ، واستولوا عليه بسهوله ، ملحقين الدمار والضرر بكل ما يتعلق بالصليبيين حول هذا الموضوع ينظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ط٣ ، (مكتبة الانجلو مصرية : ١٩٧٦) ، ج٢ ، ص ص ٩٩٥ – ٩٥٨ .

١٦- جوانفيل : القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة الدكتور، حسن حبشي ، ط١ ، (مصر : ١٩٦٨) ، ص ٧٤ – ٧٥ .

17- Sykes , sir : The Quest for Cathay (London : 1936) pp:193-198 .

18- Atiya . A. S: The Crusade in the Later Middle Ages (New York : 1970) pp : 242- 243 .

١٩- السيد الباز العريني : المغول (دار النهضة : بيروت ، ١٩٨١) ، ص ص ١٩٠ – ١٩١ .

20- Dawnson , ch : The Mongols Mission (N- Y :1980) pp:91-95

٢١- رنسيمان : المصدر السابق ، ص ص ١٢٦ – ١٢٨ .

٢٢- سترك : مادة ، ارمينيا ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج١ ، ص ٦٤٩ .

23- Claude Cahen : pre – Ottoman Turkey Tran from Franch by J.jones Williaaws (London : 1968) pp: 269 – 270 .

٢٤- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العاريني (بيروت : ١٩٦٧) ج٣ ، ص ٥٠٨ .

٢٥- ادوارد ، بروان : تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ، ترجمة ابراهيم امين الشواربي (مطبعة السعادة : ١٩٥٤) ص٥٧٤ .

٢٦- رنسيمان : الحروب الصليبية ، ص٥٠٨ .

٢٧- محمود سعيد عمران : المغول والاوربيين والصليبيون ، وقضية القدس (مصر ، دار المعرفة الجامعية : ٢٠٠٥) ، ص ٣٢٦ .

٢٨- لامب هارولد : شعلة الاسلام ، ترجمة محمود عبد الله يعقوب ،مكتبة المثنى (بغداد ١٩٦٧) ص ص ٥٦٤ – ٥٦٥ .

٢٩- نسيم عدوان : الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبي (الاسكندرية : ١٩٦٧) ص ٤١ .

٣٠- مجلة الهلال : شعوب اوربا القديمة والحديثة ، نشاتها وتاريخها واحوالها ، (مطبعة الهلال : ١٩٩١) ، ص ١٢٩ .

٣١- رنيسمان ، المدنية البيزنطية ، ص ١٢٩ .

32- E.D. Philips : The Mongols (London : 1969) pp: 63-67.

٣٣- رنيسمان : الحروب الصليبية ، ص ٤٣٢ .

٣٤- المصدر نفسه ، ص٤٣٠ .

35- Spuler : op.cit, pp: 58 – 86 .

٣٦- نقلا عن محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية (النجف ١٩٧٠) ص ٢٠٠ ، هامش رقم ٢ .
٣٧- باركر : المصدر السابق ، ص ١٦٠ ؛ رسول جعفريان : الشيعة في ايران دراسة تاريخية ، تعريب علي هاشم الاسدي (مشهد : ١٩٩١) ص٣٧٨ .
٣٨- عاشور : المصدر السابق ، ص ١٠٥١ .
39- Atya : opicit, p:243 .
٤٠- سعد بن حذيفة بن محمد الغامدي : سقوط الدولة العباسية (الرياض ١٩٨٦)، ص٣٢٢ .
٤١- زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والفرنجة خلال الحروب الصليبية (بيروت ١٩٨٥) ، ص٨٥ .
٤٢- عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر (دار لمعارف : ١٩٦٨) ص ص ٣٥٢ – ٥٦٠.
٤٣- لقد اتخذ المسيحيون النساطرة واليعاقبة من المدائن (طيسفون) مستقرا لهم زمن الدولة الساسانية ، لكن بعد تحرير العراق وقيام الدولة العربية الاسلامية ومن ثم بناء مدينة بغداد استقر فيها المسيحيين بعدما انتقل اليها رئيسهم (الجثاليق) الا ان المدائن ضلت مركزا روحيا للمسيحيين . انظر :
جعفر حسين خصباك : العراق في عهد المغول الايلخانيين (مطبعة العاني ، بغداد: ١٩٦٨) ، ص١٨٥ .
٤٤- شاكر خصباك : العراق الشمالي (بغداد : ١٩٧٣) ، ص ٢١ .
٤٥- رفائيل بابو السحق : تاريخ نصارى العراق ، (بغداد : ١٩٤٨) ، ص ١١٠
٤٦- المصدر نفسه ، ص ص ٧٨ – ٨٦ .
٤٧- رنيسمان : المدنية البيزنطية ، ص ٢٣٠ .
٤٨- البرت حوراني : تدهور الغرب في الشرق الاوسط ، مجلة الابحاث سنة ٢٧، ج٢ ، (بيروت : ١٩٥٤) ص ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .
٤٩- رنيسمان : المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .
٥٠- القزاز ، المصدر السابق ، ص٣٠٧ .
٥١- رنيسمان ، الحروب الصليبية ، ص٥٢٣ .
٥٢- القزاز : المصدر السابق، ص ٣٠٨ .
****هو من اعمال نصيبين عينة الخليفة العباسي المستعصم بالله ٦٤٠-٦٥٦هـ / ١٢٤٢ – ١٢٥٨) في رئاسة ابناء جلدته سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م . انظر :
عمر بن متى : اخبار بطاركة كرسي المشرق ، (روما : ١٨٩٩) ، ص ١٢٠ .
٥٣- سعد بن حذيفة : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .
٥٤- حسن الامين : الغزو المغولي (بيروت : دار المعارف : ١٩٧٦) ، ص ١٧١ .
٥٥- خصباك : المصدر السابق ، ص ٦٣ .
٥٦- ابن الفوطي : عبد الرزاق بن احمد : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ، (بغداد : ١٣٥١هـ) ص ٣٢٩ .

Abstract
The Role of Christian Forces in falling Abbasid Caliphate by the Mongols 1258 A.D. / 656 A.H.

The portion Christian Forces tried hard to destroy the Islamic world by its crusade wars against Islamic . when they failed in a achieving their purposes especially when Mongols forces Appeared, trying of invading large regions from the Islamic world and Eastern Europe thus the crusaders of Europe found their purpose by making the Mongols as their allies for completing their project in destroying that world and in Finishing the Islamic civilization in Baghdad.

So the purposes of the Christian missions to the land of Mongols apparently for spreading the preaching to Christianity but principal aim of those missions is that to find a military coalition (Mongol – Christian) against the Islamic world that changed later to Armenians and Georgians participation With Mongols forces in falling the Abbasid Caliphate .